ن وحى الشجرة الضائعة —

على طريقة الشعر المنثور

للأستاذ خليل هنداوى

— ١ —

أتدرين لماذا أحبك أيتها الشجرة القديمة
التى اشتركت جذورها مع جذور الزمان ...
لا أحبك لأنك قوية عالية المناكب غليظة الجذع ، ولا
حبك لكهولتك التى لا تزال تتدفق بالحياة كالشباب ، ولا
حبك لأنك رمز القدم ...
أحبك لأمر واحد وأحب معه كل قديم من أجله ...
لأن فى القديم شيئاً من حيواتى الغابرة التى لا أعيها ...
وربما كان لى عين إلى أعماقك !
وربما كان لى ثغر فى عروقك ...
وربما رأيت الحياة بك مرات كثيرة ...
إنك أقدر على تفسير اللاشعور فى نفسى من نفسي ...

— ٢ —

ما أضل أولئك الذين يظنون انهم استطاعوا ان يقولوا :
« قد وجدنا ما أضعنا »
أيستطيعون أن يتمثلوا ما أضاعوا حتى يجدوه ؟
لو كان الشيء الذى أضعته واحداً لقلت :
ما أهون الأمر !
ولكنى أضيع كل يوم شيئاً ولا أجد هذا الشيء ...
وشقائى أننى كلما ذهبت أفتش عن هذا الضائع ، أضعت معه
آخر كان معي !
فحياتى أشياء ضائعة ، وسعي ضائع وراءها .
فأين تريدون أن أجد أجزاء نفسى التي تناثرت منى على
ريق العمر ؟
وبينا كنت أحمل هذه الأجزاء كعوامل لسعادتى وحياتي
بيت أحملها ذكريات ثقيلة

هل بامكانى أن أطرح هذه الذكريات عنى كما تطرحين أيتها
الشجرة هذه الأوراق البالية عنك كل خريف ؟
أتعاودك ذكرى الأوراق المتساقطة بعد أن يكسوك الربيع
سواها ؟
فاذا لم تعاودك ذكرى الورقة الأولى فلماذا تعودين إلى إبداع
الورقة الجديدة — كل ربيع — على مثال الورقة الأولى ؟
أليست الورقة الأولى هى مصدر إلهامك ومدار حياتك ؟
وحقك ! أينما رأيت أوراقك قلت : هذه الورقة الأولى !
دعينى إذاً أفتش فى هذه المسارب قبل أن تغمض عيناى ..
لأقول : هنا سحبت قدميها مرة ، ففي هذا المكان جزء منها
فلأحاول أن أوقظ هذا الجزء ...
وأقول : هنا جلسنا ذات يوم وضحكت لنا الحياة . فلأحاول
أن أستعيد هذه الضحكة من الآن من التي طوتها
وأقول : هنا تركت بقية منها لم تعد تحملها نفسها ولا يجدها
أحد سواى . فلأجرب أن أستنقذ هذه البقية من النسيان !
وأقول : هنا يعبق الجو بأشذاء وعطور من جسدها يوم كان
يتفتح للمياه كالزهرة ، فلأجرب أن أغمر روحى بهذه الأشذاء
وهذه العطور .
وهنا يطفح المكان بألوان محاسنها التى تحولت ... فلأعمل
على إحياء هذه الألوان الباهتة .
وهنا أمس أشياء كثيرة ! أحسها ولكني لا أقدر أن
أمسكها لأنها أفلتت منى كما أفلتت منها ...
دعينى إذاً أفتش عن أجزاء نفسى فى كل مكان ، قبل أن
يطوينى الزمان .

— ٣ —

أيها الزائر لحدي — هنا — لا تكثر التأمل فى الأرض حيث
ذرات جسدى تقيم لأنك لن تجدنى هناك ...
ولكن تأمل فى الشجرة التى تغمرنى ظلالها وتحنو على
أغصانها وتشدو لي أطيارها
إنك تجدنى فيها على كل ورقة تتحرك ، وفى عصارة كل عود
يرتجف ، وتسمع همسى فى كل خشخشة منها !
أنا ميت فى الأرض ، وحى فى الشجرة .

خليل هنداوى